بنت شيخ القبيلة

تقص قصة هواها وتذكر سعادتها بزواجها من «حسن»
الذي احبته وآثرته على حبيب آخر يدعى «عمر»

خليل مطران

بُلِّغتُ من عيشي اعزَّ مرامِ وحَلَت لي اليقظات كالأحلامِ
يا غبطتي دومي فما تعدوكِ لي أمنيةٌ إن تسحي بدوامِ
في كل مطلع كوكب ومغيبهِ ذكرى تجدِّد لي عهود غرامي

* * *

ما عشتُ لا أسلو صباي ومرتعاً منهُ درجتُ وفيهِ طاب مقامي
وعصابةٍ من بنات قبيلتي خفرات ايماء فصاح كلامِ
من كل غانيةٍ بغالية الحلى في النفسِ عمّا يُقتنى بمحُطامِ
بدويةٍ خلابةٍ بجمالها قرنت حصاناتها الى الاقدامِ
تغدو على الرزقِ اليسيرِ فما تني مجهودةً وتعود في الاظلامِ
وعلى القذى في عيشها تزكو بها شيَمٌ كورد السنة البسّامِ
إذ كنت أشهدُ وردهنَّ وربما جاريتهنَّ ولم اعج بعلامِ
او كنت اشهد لهوهنَّ وهل يرى غيرُ العفاف ملاهيَ الآرامِ
واذا الرجال القافلون قد التقوا نادينَ بينَ مضاربٍ وخيامِ
يتحدثون بما اتوا أو ما وعوا من كل امرٍ في الأمور جُسامِ
ويقلُّ ان يتندوا لعظيم ما يلقونَ من كربٍ ومن آلامِ
هذي الفيافي كنَّ ملكاً هامداً احيوهُ بالأوساق والانعامِ
قومي السراة الباسلونَ ووالدي فيهم وليُّ الرأي والأحكامِ
سبّاقُ غاياتٍ الى العرفان قد شمِلَ المزارعَ بملكهُ المترامي
شاد البناء الفخمَ بين حدائقٍ غنّاء يرويها العتيق الطامي

يا حبذا غيطانها ومشارب ... منها على القطن الجني الناعي
تزهو دوارئة على عذباته ... حيناً وتنضف بالنضار الضاحي

* * *

ما كنت أسلو العيش بين كرامهم ... في الحي من أهلي وبين كرامي
لو لم يزدني الله من إنعامه ... فوق الذي امنحت من إنعامي
عممتُ فيها البئرُ والارآب قد ... نثرت حوالبها بغير نظام
وردت وآبت بالجرار سليمة ... يرشكن ان يقطرن فوق الطام
فاذا كمي لاح لي مترجلاً ... وأُوامهُ بادٍ فهاج أُوامي
لاحظتهُ للمرة الاولى فما ... لاحظت منهُ غير بدر تمام
وسقيتهُ وسقيت منهُ نواظري ... حتى ثملنا وكلنا ظامي
ما خلت رؤيتهُ يبعثها سوى ... رؤيا بدت لي في لذيذ منام
ألوى يسائل عن ابي ويطيل في ... ما شاء عن اهلي من استفهام
يبغي التبسط في الحديث وما بهِ ... انسابهُ لخوالهِ ولا أعمامي
ثم انثنى وبهجتي في ليلتي ... ما لم أذُقْ من لاعج وضرام
ولسى وفي الغد عاد يعتام الحمى ... أكرم بهِ من عائدٍ معتام
يسعى على هدي الهوى متسللاً ... والله يعلم ما سعى لحرام
ما زال يرقبني وعلاً سمعهُ ... حتى التقت ولم يرني امرهُ
آنست في «حسن» المحاسن كلها ... وعددتُ في أعوامهِ أعوامي
ومذ التقينا باح لي بهيامهِ ... وكتمتُ سرّي فاستشف هيامي

* * *

هي ساعةٌ كشف الزجاجة ظلامها ... عن مقلتي بالطالع المستام
يا ضيها لو لم يفاجئني بها ... «عُمَرٌ» بلحظ مرسَلٍ كسهام
عُمَرٌ سعادَ الله ان أرضى بهِ ... بَعْلاً وما أرضاهُ في حدّامي
أأبيع خير فتىً بشرّ فتى وفي ... خَلْتي وفي خُلُقي إباة الذام
حسْداً لمن يهوى حبيبي قد قضى ... وطري وأعلى في النساء مقامي
عُمَرٌ جديدٌ بالقران صفا لنا ... لا كدّرتهُ طوارئ الأيام